بقوله عليه السلام ينزل الله كل ليلة الى سما الدنيا فيقول هل من داع فاستجيب
له وبقوله حكاية عن ربه عز وجل لقد طال شوق الابرار الى لقاي واني
الى لقايهم اشد شوقا وبقوله من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا
كل ذلك اشارة الى ان انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم
تعالى عن البخل والمنع علوا كبيرا ولكن تحجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب
فان القلوب كالاواني فما دامت ممتلاة بالما لا يدخلها الهوا فالقلوب المشغولة
بغير الله لا يدخلها المعرفة بجلال الله تعالى واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين
يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السما ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم
والحكمة واشرف انواع العلم هو العلم بالله وصفاته وافعاله فيه كمال الانسان وفي كماله سعادته
وصلاحه لجوار حضرة الجلال والكمال فالبدن مركب للنفس والنفس محل للعلم والعلم هو مقصود الا
نسان وخاصيته التي لاجلها خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية
الكر والفر وحسن الهية فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض
رتبة الحمار فكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في امور ويفارقه في امور هي خاصيته وتلك الخاصية
من صفات الملايكة المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة بين البهايم والملايكة فان الانسان من حيث
يتغذى ويتنسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة
المنقوشة على الحايط وانما خاصيته معرفة حقايق الاشيا فمن استعمل جميع اعضايه وقواه على وجه
الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملايكة فحقيق بان يلتحق بهم وجدير بان يسمى ملكا
وربانيا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية ياكل كما ياكل
الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهايم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضرعا ككلب
او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من
عضو من الاعضا ولا حاسة من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى
الله تعالى كما سياتي بيان طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز
ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقا الله تعالى مقصده

والدار

والدار الاخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضا خدمه فيستقر هو اعني
المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية المودعة
في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ تجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة
الحافظة التي مسكنها موخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى ترجمانه ويجري
الاعضا المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس الخمس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد
باخبار صنف من الاصناف فيوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات
والشم بعالم الروايح وكذلك سايرها فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم
ويودونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهي
الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس منها ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي
هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا
سعيدا شاكرا نعمة الله واذا عطل هذه الجملة او استعملها لكن في مراعاة اعدايه وهي
الشهوة والغضب وساير الحظوظ العاجلة او في عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا
طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الاخرة كان مخذولا شقيا كافرا لنعمة
الله تعالى مضيعا لجنود الله ناصرا لاعدا الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد
في المنقلب والمعاد نعوذ بالله من ذلك والى المثال الذي ضربناه اشار كعب الاحبار قال
دخلت على عايشة رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان
ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب ان لله تعالى في ارضه
انية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال اصلبها في الدين
واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهو اشارة الى قوله تعالى اشدا على الكفار
رحما بينهم وقوله مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابي بن كعب معناه مثل نور المومن
وقلبه وقوله او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقال زيد بن اسلم في لوح محفوظ
هو قلب المومن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه امثلة القلب

Copyright @ King Saud University